

أساسياً

الطفل قريقم: ريشة نازحة عن الشجاعة

غزة - بيان عبد الواحد

هو طفل صار اسمه بين المبدعين المشهورين قبل الحرب، وحصل على أكثر من جائزة تكريم لمهارته في الرسم، برغم أنه لم يتعد سن الثالثة عشرة. قرر أن يبقى مع ذويه خلال الحرب في منزلهم في حي الشجاعة شرق مدينة غزة، لأن الشارع لم يصبح أمناً، فجمع أطفالاً من أقربائه والحي حوله ليعلمهم الرسم، حتى جاء فجر مجزرة الشجاعة، ما اضطر عائلة الطفل محمد قريقم إلى النزوح هرباً بنفسها من الموت العشوائي، لكن الطفل أصر على أن تنزح بعض لوحاته معه إلى مستشفى الشفاء غرب المدينة.

قريقم الذي أنشأ صفحة على «الفيسبوك» وصل عدد المعجبين بها حتى كتابة النص إلى ثلاثين ألفاً، عرض جزءاً من لوحاته التي هربت معه من الموت والدمار، لكن ريشته لا تزال تقطر باللون الأحمر وهو يرسم بقايا الجثث الملقاة تحت ركاب الشجاعة، وصفحته مليئة بالسؤال عنه ليلة المجزرة من فنانيين ورسامي كاريكاتير وآخرين، خوفاً على أن يكون قد لقي المصير نفسه، لكنه طمأنهم إلى حاله بالرسم مجدداً في مكان لجونهم داخل المستشفى.

وبينما لم يستطع الأهالي أن يأخذوا معهم من منازلهم إلا ما لبسوا من ثياب، أصر محمد على أن يحمل بين ذراعيه حقيبة الألوان ودفتر الرسم. وكان يحاول أن يهرب من ضوضاء أشقائه الصغار والأطفال الذين شغلوا عن أصوات القصف باللعب والركض داخل حديقة مجمع الشفاء الطبي، التي تحوي مئات النازحين.

يتنصل «العم الصغير» من أبناء أشقائه الذين يتوددون إليه لمشاركتهم اللعب، فيذهب إلى زاوية ما ليسرح بخياله ويسترجع هول المناسبة التي حلت على أهالي الشجاعة ليلة العشرين من تموز الماضي، وطحن المنازل فوق رؤوس ساكنيها، وجعلتها أثراً بعد عين. يقول الطفل الموهوب إن الجريمة التي تفوق فهمه أثرت في فرشاة رسمه وصلبتها كسمار فوق اللوحة، لأنه لا يخفي أنه عجز في البداية عن توثيق المشهد، لكنه بدأ تدريجياً يقوى على

خط ملامح الألم في أڑقة الشجاعة وشوارعها.

يستدعي محمد قدراته ليقوى على رسم اللوحة التي يقيمها أمامه، ويقول إنه يريد فيها تشكيل الحالة الفلسطينية الغارقة في الدماء، وخصوصاً بعدما قارب عدد الشهداء الألفين. أخذ الطفل يرسم التعرجات، بداية بقلم الرصاص على اللوحة. وحالما تشكلت اللوحة ظهر فيها منزل قائم وفوقه توجه طائرة حربية صاروخاً لتفتته. يقول عن هذا المشهد: «هذا هو الواقع في غزة. الطائرات لم تتوان لحظة عن دك منازل المواطنين بالصواريخ والقذائف».

توقف عن الرسم قليلاً، ثم بدأ يسرد لحظات خروجه مع أهله قائلًا، إن

ستعود لوحات محمد معه إلى بيته لتكون ناجية من الموت والدمار



الاحتلال أخذ يقصف المواطنين في الحي، مع أنهم كانوا خارجين من منازلهم، ويضيف لـ «الأخبار»: «أصبحت أومي في جهة، وأبي وبعض إخوتي في جهة ثانية، ثم صرنا نبحث عن بعضنا بعضاً أكثر من ساعة تحت القذائف والرصاص».

ويكمل قريقم: «مشينا سيرا على الأقدام مسافة طويلة، حتى وصلنا مجمع الشفاء، ولم نكد نرتاح قليلاً حتى هددوا بناية في المجمع بالقصف، فغادرنا بسرعة».

مباشرة استغل الطفل فرصة وصول الكهرياء وصور من على هاتفه اللوحة ونشرها على صفحته كاتبا: «بعد النزوح للمرة الثالثة، أكملت الرسم كان شيئاً لم يكن... اكتبوا عنا وانشروا ما يكتب أهل غزة واخبروا العالم أننا صناع حياة»، مؤكداً أنه سيعيد لوحاته معه إلى البيت لتكون هي الأخرى ناجية من الموت. وحظيت صورة محمد بإعجاب المئات في صفحته، لذلك سارع إلى نشر فيديوهات صورها لنفسه، وهو يتحدث عن صمود الناس، كما نشر صورة عن مأساة «أطفال ماتوا وهم نيام»، وكتب معلقاً: «ناموا في غزة، واستفاقوا في الجنة».

ويتحدث قريقم عن تجربته الأولى في الرسم، حينما رسم سيدة فلسطينية مضطهدة، ما دفع أخاه الأكبر مالك إلى مساعدته بعرض رسومه على فنانيين، ساعدوه على تطوير موهبته. وحصل قبل الحرب على لقب أفضل فنان تشكيل في مهرجان أقيم في مدينة غزة، بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة، وجاء هذا التكريم بالنسبة إليه في مرحلة جديدة وضعته أمام مسؤولية كبرى.

ويقول محمد إنه يحلم بأن يقدم شيئاً أفضل وذا قيمة للقضية الفلسطينية، كما يطمح إلى أن يكون سفيرا لأطفال فلسطين في العالم. الآن هو يستغل أوقات فراغه ليرسم بعض الإصابات التي شاهدها في المستشفى، لكن لوحاته لم تخل من بعض الفرح والحياة من أجل إلهاء الصغار من حوله، وإبعادهم عن الخوف، لأن أكثر ما يزعج الأطفال كما يرى «أصوات القصف وتحليق الطائرات».

جذور الكراهية

عامر محسن

هناك شيء ناقص في التعاطف مع مسيحيي الموصل في نكبتهم إن لم يكن هذا التضامن واعياً للاطار الأعم الذي أنتج التهجير. كيفما قلبنا الصورة في المشرق اليوم، وبغض النظر عن المنطلقات السياسية، فإن هناك واقعا واضحا لم يعد من الممكن تفاديه أو تجاهله: مساحات واسعة من سوريا والعراق خضعت برمتها لـ «تطهير طائفي» شامل طاول كل من يمكن اعتباره «أقلية» فيها. وهذه عملية انطلقت قبل صعود «الدولة الإسلامية» ولم تكن مقتصرة عليها.

لهذا السبب، يصير نقد «داعش» في بعض الحالات أمراً سلبياً، فـ «الدولة» أصبحت الكاريكاتور الذي يعاديه الجميع، وأضحت المثال الأكثر تطرفاً الذي يُخفي خلفه كل النسخ السابقة التي أوصلت إليه. من يناقش «داعش» باعتبارها «استثناء» يُغفل تاريخيتها، والسببية الواضحة بين صعود قوى كـ «الدولة» وانتشار الخطاب الطائفي الكاره في العشريّة الاخيرة، حتى صار شائعاً في الإعلام العربي «المحترم»، وصار كبار رجال الدين في الأمة يلقون خطب تحريض لا تليق إلا بالقرن الوسطى (غير أنها منقولة على الفضائيات).

البعض في بلادنا ما زال يتوهم أنّ العنصرية والطائفية والتعصب الديني هي أمور مختلفة نوعياً بعضها عن بعض، وأنّ بالامكان استخدام هذه النزعات وترويضها والتحكّم فيها. والبعض الآخر ما زال يرفض الاعتراف بالواقع الذي لا يناسبه، فيحاجج العديد من المثقفين، مثلاً، بأنّ «داعش» وليدة سياسات النظام السوري، مكرّرين اللّازمات نفسها عن تمرير الجهاديين الى العراق واخراج المعتقلين من السجون، وهم يرون أنّهم قدّموا حجة وسردية (هي في الحقيقة، المقابل الاكاديمي لمقولة «داعش صنعية استخبارات النظام»). إنّ من يتعمى عن واقعه الى هذه الدرجة، من الطبيعي أن تفاجئه «داعش»، ولكن، بعدما وصل الأمر الى حدّ اعتناق الافكار الابادية، أضحى من الطبيعي لنا، نحن أهل هذه الأرض، أن نحمل أنفسنا ومجتمعاتنا من هذا الخطر، وأن نشير بوضوح الى هذه المنظومة التحريضية، والى منابعها الفكرية والعملية في الخليج - منذ أيام الزرقاوي. التعامل مع هذا الخطاب، كما ثبت بالتجربة، لا يكون بمسايرته، أو بالتفاوض معه، أو بمواساة ضحاياه، بل بعقد قطيعة تاريخية، معه ومع صانعيه، ومنعه، بكل الوسائل، من الاستيطان في بلادنا.

السلطة إلى لاهاي إسرائيل مجرمة حرب

بدأت السلطة الفلسطينية مساعيها لمقاضاة إسرائيل أمام «الجنائية الدولية»، في محاولة لاستصدار موقف دولي يدين تل أبيب على جرائمها بحق المدنيين في غزة

أعلن وزير الخارجية الفلسطيني رياض المالكي، بعد لقائه ممثلي الادعاء في المحكمة الجنائية الدولية، أمس، أن هناك أدلة واضحة على ارتكاب إسرائيل جرائم حرب في غزة، متحدثاً عن مسعى للانضمام إلى المحكمة ومنحها ولاية قضائية للتحقيق. وقال المالكي، الذي زار لاهاي بعد ساعات قليلة من بدء سريان الهدنة، إن السلطة الفلسطينية تريد منح المحكمة ولاية قضائية للتحقيق في جرائم حرب «يزعم الإسرائيليون



يتمن فلسطين أيضاً منح المحكمة ولاية قضائية للتحقيق في جرائم تعود إلى عام 2002 (الأناضول)

والفلسطينيون أنها ارتكبت»، فيما بحث مع المدعين في المحكمة إطاراً زمنياً لانضمام فلسطين، لكنه لم يقدم تفاصيل. وبالانضمام إلى المحكمة، التي ليست دولة العدو عضواً فيها أيضاً، ستصبح الأراضي الفلسطينية مفتوحة تلقائياً للتحقيقات محتملة في جرائم داخل حدودها، ويمكنها أيضاً منح المحكمة ولاية قضائية للتحقيق في جرائم يعود تاريخها إلى تموز عام 2002. وفيما رفضت إسرائيل التعليق علانية، قال مسؤول إسرائيلي رفيع المستوى لـ «رويترز» إن أي تحرك قانوني من قبل المحكمة ضد إسرائيل بخصوص حرب غزة سيؤدي إلى إقامة دعوى اسرائيلية مضادة ضد الفلسطينيين أمام المحكمة. في السياق، دعا عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية صائب عريقات المجتمع الدولي إلى توفير جسور برية وبحرية للتعامل مع الكارثة الإنسانية في قطاع غزة والناجمة من «العدوان والجرائم الإسرائيلية»، في وقت قال فيه رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بيتر ماورير، إن الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة خلّفت أثراً «صعبة وقاسية». وأضاف «هناك دمار كبير لحق بالمباني. تجولت في غزة ورأيت المعاناة، والألم، وفي داخل المستشفى

(الأخبار، أ ف ب، الأناضول)